مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(أعمال الرسل ٥:١٢–٢٠)

في تِلكَ الأيامِ جرَتْ على أيدي الرسُلِ آياتٌ وعجائبُ كثيرة في الشعب. وكانوا كلُّهم بنفسٍ واحدةٍ في رِواقِ سُليمان* ولَم يكن أحدٌ منَ الآخرين يجترِئُ أن يُخالِطَهُم. لكن كانَ الشعبُ يُعظِّمهم* وكانَ جماعاتٌ مِن رجالٍ ونساءٍ ينضمونَ بكثرةٍ مؤمنينَ بالرب، حتى إنَّ الناسَ كانوا يخرُجونَ بالمرضى إلى الشوارعِ ويضعونَهم على فُرُشٍ وأسِرَّةٍ لِيقعَ ولو ظِلُّ بُطرُسَ عند اجتيازِهِ على بعضٍ منهم* وكان يجتمعُ أيضاً إلى أورَشليمَ جمهورُ المدنِ التي حولَها يحمِلون مرضى ومُعذَّبينَ مِن أرواحٍ نجِسة. فكانوا يُشفونَ جميعُهم* فقامَ رئيسُ الكهنةِ وكلُّ الذينَ معهُ وهم من شيعةِ الصدُّوقيينَ وامتلأوا غَيرةً* فألقَوْا أيديهم على الرسلِ وجعلوهم في الحبس العام* ففتحَ ملاكُ الربِّ أبوابَ السِّجنِ ليلاً وأخرجهم وقال* أمضُوا وقِفوا في الهيكل

عدم إيمان توما

«يا له من عجب معجز لأن عدم إيمان صار تأكيد الإيمان لأن توما زعم إن لم أبصر فما أصدّق، فلما فتّش الجنب نطق بلاهوت المتجسد الذي هو ابن الله وعرف أنه تألّم بالبشرة وأشاد كارزاً بالإله الناهض وصرخ بنغمة جهيرة: ربي وإلهي المجد لك». تُظهر هذه القطعة التي تُقرأ في غروب أحد توما، أهميَّة التغيّر الذي حصل للرسول توما بعدما عاين الرب القائم من بين الأموات.

العدد ٢٠٠٧/١٥

الأحد ١٥ نيسان

أحد الرسول توما

تذكار القديس الشهيد كريسكس

اللحن الأول

إنجيل السَحَر الأول

حددت الكنيسة الأحد الأول بعد القيامة لنقيم فيه تذكار الحادثة التي جرت مع الرسول توما لأنها تمت بعد ثمانية أيام من قيامة الرب يسوع كما يخبرنا الإنجيلي يوحنا. إن عدم إيمان توما وشكه بقيامة الرب يسوع بالجسد هو أمر منطقي لأن توما لم يكن مع التلاميذ عشية القيامة حين ظهر لهم المسيح ولأنه لم يسبق له أن عاين أحداً يقوم من بين الأموات بقوّته الذاتية.

لقد استأهل توما بسبب شكّه أن يتوجّه إليه الرب يسوع بالحديث بشكل خاص بعد أن تحدث مع التلاميذ بشكل عام في الزيارة الأولى، أما في الزيارة الثانية فبعد إلقاء السلام وبسبب معرفته لكل شيء أدرك عدم إيمان توما وطلب منه أن يضع يده في جنبه وفي يديه ليتأكد ويؤمن. قد يبدو لنا أن العنصر المهم والبارز في هذه الحادثة هو عدم إيمان توما، وهذا صحيح إلى حدّ ما لأن الشك هو الذي سبّب ما حدث، ولكن العنصر الأبرز والأهم هو النتيجة التي وصل إليها توما والإعتراف الإيماني الذي تميّز به إذ أكد بشكل واضح وصريح أن الرب يسوع المسيح هو الإله: «أجاب توما وقال له ربي وإلهي» (يو ٢٠:٢٨). هناك أمر آخر نتج عن هذه الحادثة هو التطويب لكل من يؤمن دون أن يرى: «قال له يسوعُ لأنَّكَ رأيتني يا توما آمنتَ، طوبى للذينَ آمنوا ولم يروا» (يو ٢٠: ٢٩). هذا ما ينطبق على معظم المؤمنين الذين آمنوا من بعد صعود المسيح إلى السموات وحتى مجيئه الثاني لأن قلة من الناس يؤهلون أن يعاينوا الرب في حياتهم الأرضية. لذلك قد يعاني غالبية المؤمنين في بعض الأحيان من الشك الذي عاشه الرسول توما، وهنا لا بد أن نميّز بين نوعين من الشك: تعريف الشك عو عدم التأكّد من أمر ما ولكن هناك شك يُقصد منه الوصول إلى الحقيقة

وكلّموا الشعبَ بجميعِ كلماتِ هذه الحياة.

الإنجيل

(يوحنا ٢٠: ١٩–٣١)

لمَّا كانت عشيَّةُ ذلكَ اليومِ وهو أولُ الأسبوعِ والأبوابُ مغلقةٌ حيثُ كانَ التلاميذُ مجتمعينَ خوفاً من اليهود جاءَ يسوعُ ووقف في الوسْطِ* وقال لهم السلامُ لكم* فلما قال هذا أراهُم يديهِ وجنبَهُ. ففرح التلاميذُ حينَ أبصروا الربَّ* وقال لهم ثانيةً السلامُ لكم كما أرسلني الآبُ كذلكَ أنا أرسِلُكم* ولما قال هذا نفخ فيهم وقال لهم خذوا الروحَ القدس* مَن غفرتم خطاياهم تُغفر لهم ومن أمسكتم خطاياهم أُمسكت* أما توما أحدُ الإثنَيْ عَشَرَ الذي يقالُ لهُ التوأمُ فلم يكن معهم حين جاءَ يسوع* فقال له التلاميذُ الآخرونَ إنَّنا قد رأينا الربَّ* فقال لهم إن لم أعاينْ أثرَ المساميرِ في يديهِ وأضعْ إصبعي في أثرِ المساميرِ وأضع يدي في جنبه لا أؤمن* وبعد ثمانيةِ أيامٍ كان تلاميذُه أيضاً داخلاً وتوما معهم فأتى يسوعُ والأبوابُ مغلقةٌ ووقفَ في الوسْط وقال السلامُ لكم* ثم قال لتوما: وإيقان ما نجهله كما حدث مع توما الذي حين عاين الرب لم يجادل ولم يسأل عن كيفيّة القيامة بل أجابه للحال «ربي وإلهي». أما النوع الآخر فهو الشك من أجل التشكيك دون أن يبتغي الإنسان الوصول إلى اليقين. الذين يحبّون أن يشكّكوا فقط من أجل التشكيك ويريدون إدراك كل شيء عن الله بقدراتهم الذاتية أو يرفضون الإيمان بسبب كبريائهم ينطبق عليهم قول الرب: «لأنَّ قلبَ هذا الشعبِ قد غَلُظَ، وآذانَهم قد ثَقُلَ سَماعُها، وغَمَّضوا عيونَهم لئلاَّ يُبصِروا بعيونِهم ويسمعوا بآذانِهم وبفهموا بقلوبِهم ويرجِعوا فأشفيهم» (متى ١٣: ١٥). من جهة أخرى الذين يؤمنون ويراودهم الشك في بعض المرات ويعلمون بتواضعهم أنهم لا يستطيعون إدراك كل أمور الله بالعقل البشري ويصرخون كوالد الصبي الذي كان به روح أخرس: «أؤمِنُ يا سيِّدُ فأعِنْ عدَمَ إيماني» (مر ٩:٢٤)، هؤلاء يستطيعون تلقف الإشارات والدلائل التي يضعها الله في حياة كل إنسان ليدرك وجوده ومحبته بالإضافة إلى كل تعاليم الكنيسة: «مع أنَّهُ لم يترك نفسَهُ بلا شاهدٍ وهو يفعلُ خيراً يعطينا من السماءِ أمطاراً وأزمنةً مُثمرةً ويملأُ قلوبَنا طعاماً وسروراً» (أع ١٤:١٧).

ختاماً نصل إلى الاستنتاج ان المتواضع والذي يريد أن يصل إلى اليقين والإيمان، لا يسمح الله أن يقف الشك أو ضعف الإيمان عائقاً في طريقه بل يساعده لكي يتقوى في الإيمان، أما المتكبّر والذي يريد أن يشكك فقط، بسبب عدم قدرته على إدراك الله بعقله وبقوّته الذاتية، وبسبب عجزه عن تفسير معجزات الله، مثل هذا الإنسان لا يستطيع الله أن يفرض عليه الإيمان بالقوة: «إن كانوا لا يسمعونَ من موسى والأنبياءِ، ولا إن قام واحدٌ من الأموات يصدِّقون» (لو ١٦:٣١).

المسيح قام

عند السادسة من صباح الأحد ٨ نيسان ترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة الهجمة وقداس الفصح في كاتدرائية القديس جاورجيوس في ساحة النجمة بحضور حشد كبير من المؤمنين. وبعد قراءة الإنجيل المقدس ألقى سيادته العظة التالية:

«المسيح قام ـ حقاً قام، فلنسجد لقيامته ذات الثلاثة الأيام. المسيح قام من بين الأموات ووطئ الموت بالموت ووهب الحياة للذين في القبور.

«لأن الناموس بموسى أُعطي، أما النعمةُ والحق فبيسوع المسيح حصلا» (يو ١: ١٧).

اليهود كانوا يقولون بحقيقة الشريعة، وفيها يجدون حق الله، أي التعليم الصادر من الله. والعودة إلى الحق بالنسبة إليهم هي العودة إلى الشريعة التي أُعطيت لموسى. لذلك كان اليهود يفاخرون بأنهم يملكون التعبير الكامل عن هذه الحقيقة في الشريعة.

في المسيحية استُبدلت حقيقةُ الشريعة بحقيقة الإنجيل التي هي كلمة الله. هي البشارة بالمسيح يسوع وبجميع ما أوصى به (متى ٢٨: ٢٠). وقبول هذه البشارة، قبول حقيقة الإنجيل يكون بواسطة الإيمان الذي يتطلّب حُبَّ الحق، لأن في محبة الحق يكون الخلاص. «لأن هذا حسنٌ ومقبولٌ لدى مخلّصنا الله الذي يريد أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق

هاتِ إصبعَكَ إلى هنا وعاينْ يديَّ وهاتِ يدَكَ وَضَعْها في جنبي ولا تكنْ غيرَ مؤمنٍ بل مؤمناً* أجاب توما وقال له: ربّي وإلهي* قال له يسوع: لأنكَ رأيتني آمنتَ، طوبى للذينَ لم يرَوا وآمنوا* وآياتٍ أُخَرَ كثيرةً صنع يسوعُ أمام تلاميذه لم تُكتب في هذا الكتاب. وأمَّا هذه فقد كُتبت لتؤمنوا بأنَّ يسوعَ هو المسيحُ ابنُ الله. ولكي تكونَ لكم إذا آمنتم حياةٌ باسمه.

تأمل

كيف غلب المسيح وركّز راية الغلبة الأبدية وفتح لنا الطريق والباب الموصلين إلى السماء؟ لم يخطف أسرى الخطيئة عنوة بل أعطى حياته بدلاً وربط القوي (الشيطان) وملك على نفوس البشر بعد ان قضى على طغيان العدو، لا لأنه يملك القوة بل لأنه بتضحيته وموته أعطيت له سلطة القضاء على أعمال الشيطان عدلاً وحقاً. وقد كشف النبي هذا العدل بقوله: «العدل والحق قاعدة كُرْسِيِّك» (مز ١٤:٨٩).

ان العدالة الإلهية لم تفتح فقط أبواب الخلاص بل ظهرت من خلالها للجنس البشري لأنه لم يكن بالإمكان، في الأجيال يقبلون» (١ تيموثاوس ٢: ٣–٤). المؤمنون هم في الواقع من يعرفون الحق، لأن الله شاء وولدهم بكلمة الحق (يعقوب ١: ١٨)، هؤلاء الذين ولدوا ثانية لا من زرع يفنى، بل مما لا يفنى، بكلمة الله الحية الباقية إلى الأبد» (١ بطرس ١: ٢٣).

الحق هو كلمة الآب: «قَدِّسْهم في حقك، كلامك هو حق ... ولأجلهم أقدّس أنا ذاتي، ليكونوا هم أيضًا مقدَّسين في الحق» (يو ١٧: ١٧ و١٩). هذه الكلمة التي سمعها المسيح من الآب هي الحق الذي أتى ينادي به: «أنا إنسانٌ قد كلّمكم بالحق الذي سمعه من الله» (يو ٨: ٤٠) ويشهد له: «أتيتُ إلى العالم لأشهدَ للحق. كل مَنْ هو من الحق يسمع صوتي» (يو ١٨: ٣٧).

المسيح يعلن الحق وهو مملوءٌ نعمةً وحقًا (يو ١: ١٤)، لا بل هو الحق كما قال لتوما: «أنا هو الطريق والحق والحياة» (يو ١٤: ٦). فالذي يثبت في كلمة يسوع يستطيع أن يصل إلى معرفة الحق وأن يتحرّر من الخطيئة. وبالتالي فإن كلمته هي التي تجعلنا نغلب الشرير إن كانت ثابتة فينا (١يو ٢: ١٤) وهي التي تجعلنا نسلك في سُبُل الحق، في سُبُل النور، في سُبُل المحبة. كلمة الرب تجعلنا نشهد للحق ونشهد ضد العالم الشرير موبّخين الأعمال الشريرة، لأن كلمة الله ساكنة فينا.

يوحنا المعمدان، النبي الأعظم، تكرّس من البطن لله وامتلأ من الحق وما كان إلا ليشهد للحق. ما كان هو الحق بل جاء ليُهيّئ الطريق ويُمهّدها لمن هو أعظم منه. بشّر بقدوم المسيح وقال «لست أهلاً أن أحلَّ سيور حذائه» (يو ٣: ١٦). جاء ليشهد للحق. عرف الحق وبشّر به ولم يضع نفسه أولاً ولم يطلب شيئًا لنفسه. كان جلُّ مبتغاه أن يعمّد الناس ويدعوهم إلى التوبة من أجل اقتبال الملكوت الآتي. كان يبشّر بالنور الذي يُضيء طريقهم وحارب الظلمة الآتية من الخطيئة حتى الموت، ذلك أنه وبّخ هيرودس «لسبب هيروديا امرأة فيليبس أخيه ولسبب جميع الشرور التي كان .. يفعلها« (لو ٣: ١٩). فسجنه هيرودس وبعدئذٍ أمر بقطع رأسه.

معدن الإنسان يُختَبَر بالنار، أي على مِحكّ التجربة. الإنسان الذي يشهد للحق صادق وهو لا يُساوم مهما كانت المخاطر. الإنسان الذي يشهد للحق يضع الحق فوق أناهُ وشهواته ومصلحته وفوق كل شيء. الإنسان الذي يشهد للنور لا تكتنف الظلمةُ قلبَهُ ولا تكون نفسُهُ قاتِمةً بل شفّافةً تعكِسُ النور الذي في داخله، والنور لا يُخفى ولا يوضَع تحت المكيال لأنه يشعُّ ويضيء.

بمثل هؤلاء الذين يشهدون للحق وللنور تُبنى الأوطان وتكون أساساتها متينةً تُقاوم العواصف والأعاصير.

وطننا ثبت على مرّ الزمن رغم المِحن الكثيرة التي كابدها لأنه أطلع رجالاً كباراً عرفوا كيف يحافظون عليه ويجاهدون عاملين من أجل أمنه واستقلاله واستقراره، من أجل حريته وعزّته ورُقيِّه وتقدّمه ووحدة بنيه لا من أجل مصالحهم الخاصة أو زعاماتهم أو ارتباطاتهم أو جيوبهم على حساب الوطن، رجالاً كباراً عيونهم في قلب الوطن ومبتغاهم ازدهاره ورفعته.

الغابرة أن يجد الإنسان عدلاً قبل أن يتجسد المسيح. فالله ذاته الذي لا تخفاه خافية ككلّي المعرفة، فتش ليجد وقتئذ عدلاً على الأرض فلم يجد «الكل زاغوا معاً، فسدوا وليس مَن يعمل صلاحاً ليس ولا واحد» (مز ١٤:٣) ولكن عندما أشرقت الحقيقة وأنارت الذين في الظلام وضلال الكذب ظهرت العدالة من السماء بصورة كاملة وحقيقية للناس. وهكذا تبرّرنا نحن، أعني أُعتقنا من الجريرة ومن رباط الخطيئة. حُكم على البريء من الخطأ بالموت على الصليب وهو الذي لم يفعل ظلامة واحدة. دِينَ من أجل الخطايا التي ارتكبناها نحن وأصبحنا بموت السيد، نحن الخطأة، أبراراً وأصدقاء لله. فالمخلّص لم يقضِ على طغيان الشيطان فقط ولم يصالحنا مع الآب فحسب بل أعطانا في الوقت نفسه «أن نكون أولاداً لله» (يو ١٢:١) ولما كان قد وحّد طبيعتنا بألوهته فأنه بأسرار الكنيسة وحّد كل واحد منا مع ذاته وبهذه الطريقة وهبنا نعمته وحياته. الخلاص الحقيقي إذاً يذوقه الإنسان وينالـه بالأسرار التي أسسها السيد.

القديس نقولا كاباسيلاس

أين نحن من أولئك الكبار؟ وهل ولّى زمن الكبار؟ ألا نشعر كلنا بالخطر المحدق بنا وبوطننا؟ هل أصبحت قلوبنا حجرية، خاطئة إلى درجة أنها لم تعد لحمية تحنُّ وترأف؟ وطننا ينزف أمام أعيننا والجميع يتلهّى. ألا ندري أن الوطن إن خسرناه لا نستعيده أبداً؟ وما فائدة الشعارات والإيديولوجيات والنظريات والخُطَب الطنّانة الرنّانة وكل ما نتغنّى به إذا خسرنا الأهم وهو الوطن؟

عودةً إلى النفوس لمراجعتها ومحاسبتها واستخلاص العبر من الماضي ومن الحاضر، وعودةً إلى معاني هذا العيد المجيد، عيدِ قيامة ربنا وانتصاره على الموت.

لقد تألّم الرب الإله وصُلب ومات ثم قام من أجل خلاص الإنسان. ألا يستأهل وطننا أن نُميت أسواءنا وأهواءنا وخطايانا من أجل خلاصه؟ لقد صُلب المسيح وكابد الآلام من أجلنا بسبب محبته العظيمة لنا. ألا يستحق وطنُنا محبةً عظيمةً صادقةً منا جميعاً لننتشله من عمق الهاوية التي أسقطته فيها أيدينا كما انتشل المسيحُ القائمُ من بين الأموات آدمَ وحواءَ من عمق الجحيم الذي كانا فيه؟

قيامة لبنان من آلامه هي في أيدي أبنائه، في اتحادهم وتضامنهم، في نظر الواحد منهم في وجه الآخر والتنعم برؤيته أخًا. الغرباء يفتشون عن مصالحهم مهما فعلوا لنا. أما الأبناء، المواطنون، فعلى عاتقهم المسؤولية، مسؤولية إنقاذ وطنهم.

نحن ننشد في هذا اليوم المبارك: «اليومَ يومُ القيامة، فسبيلنا أن نتلألأ بالموسم ونصافح بعضنا بعضًا، ولنقل يا إخوة، ولنصفح لمبغضينا عن كل شيء في القيامة، ونهتف هكذا قائلين: المسيح قام من بين الأموات، دائسًا الموت بموته والذين في القبور وهبهم الحياة».

لنُفرغ قلوبنا من كل ما يقف حائلاً دون لقاء الآخر: الحقد والبغض والحسد والأنانية والمصلحة وتصفية الحسابات ... لنفرغ قلوبنا إلا من المحبة التي لا تسقط أبدًا. «لا تكونوا مديونين لأحدٍ بشيء إلا بأن يُحبّ بعضُكم بعضًا ... المحبة لا تصنع شرًا ...» (رومية ١٣: ٨ و١٠).

أيها الأحبة، يا أهل بلدي، يا عائلتي الكبيرة، لننظر جميعنا في اتجاه واحد: خلاص هذا البلد ومصلحة كل بنيه، وإلا كنا كمثل ذاك الخائن يهوذا الذي باع المخلّص بثلاثين من الفضة.

دعاؤنا في هذا العيد المبارك أن نعي مسؤوليتنا ورسالتنا تجاه وطننا وأن نكون الشهود لحق هذا الوطن بوجوده وبمساهمته في بنيان هذه المنطقة من العالم والعالم بأسره. دعاؤنا أن ينمو وطننا نحو استقلال كامل لكي يتعاطى مع الأقربين والأبعدين بالمحبة التي في الحرية.

استجاب الرب دعاءنا وأهّلنا أن نكون مستحقين النعمةَ الممنوحةَ منه لنا. آمين.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb